الفيض المصفّى

في مناقب مَن بالعلم تحلّى وَ بالفقه تجلّى فحلَّى وَ جلَّى

أعني العالم الفقيه المتورّع

المفتي الأعظم فيض الله رحمه الله

المحرّر

محمود الرّشيد عفي عنه

بإرشاد الوالد المحترم

العالم الحافظ محمد إلياس القاسمي بارك الله في حياته

تنسيق العناوين

١. ـ المولد، والنسب، والبيئة النشئِيّة

٢. – رحلة الطلب: في هاتهزاري وديوبند

٣. – جِلسة الإفادة: مُعلّم فائز

٤. – خيرٌ لأهله: مدبّر المنزل ومعلّم البيت

٥. – مقام الرُّسوخ: أسوة الفقهاء ونِبراسُ الأتقياء

٦. – الأثرُ المصفّى: دُرر التصانيف وغُرر الرّسائل

٧. – رحلة الخلود والالتحاق بالرّفيق الأعلى

المفتي الأعظم فيض الله رحمه الله

نبذة من حياته العلميّة وصنيعاته التجديديّة

١ ـ المولد، والنسب، والبيئة النشئية:

المولد والنسب : وُلد هذا الابن العبقري الذي غيّر مجرى التاريخ في المنطقة عام ١٣١٠ للهجرة، في قرية "ميخل" التابعة لمنطقة هاتهازاري بمديرية شيتاغونغ، ونشأ في أحضان أسرة شريفة وكريمة. والده هو الفاضل هدايت علي شودري، ووالدته هي التقية الرحيمة رحيم النساء (رحيمة بيغم)

أما عن جذور أسرته، فقد هاجر أجداده في البداية من منطقة "غور" في بنغلاديش إلى إقليم شيتاغونغ. وبحسب الأبحاث والتحريات التي قام بها حفيده المؤهل مولانا عثمان فيضي، فإن أجداد الأسرة كانوا قد جاؤوا إلى "غور" من جنوب الجزيرة العربية، وتحديداً من بلاد اليمن السعيد. ويمتد نسب هذه العائلة الكريمة في سلاسلها العليا ليتصل بالصحابي الجليل وخليفة المسلمين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

البيئة والوضع الاجتماعي: عاشت البلاد في تلك الفترة بيئة دينية واجتماعية صعبة، حيث كانت غارقة في أنواع شتى من البدع، والمنكرات، والخرافات التي انتشرت في البيوت، والقرى، والأحياء تحت مسمى الدين والتدين

وفي وسط هذه الظلمات، أراد الله تعالى أن يرسل ورثة الأنبياء ليقوموا بنصرة الدين وتطهير المجتمع؛ فكان هذا الابن البار المولود في قرية "ميخل" هو الشخصية الأبرز والأكثر تأثيراً في تلك النهضة. وبفضل الله، أصبح لاحقاً منارة في العلم، والعمل، والفكر، ونال الصدارة والفضل بين الصغار والكبار على حد سواء.

٢. ـ رحلة الطلب: في هاتهزاري وديوبند

بدأ الشيخ فيض الله (رحمه الله) مسيرته التعليمية النظامية في جامعة هاتهازاري في عام ١٣٢٠ للهجرة (الموافق لعام ١٩٠١ للميلاد)، وكان عمره آنذاك لا يتجاوز العاشرة أو الحادية عشرة.

من أبرز من تخرج في هذه الجامعة هو المفتي الأعظم "فيض الله" رحمه الله. وظهر عليه الصلاح والتقوى منذ صغره، حتى كان الناس يصِفونه بـ "ولي الله منذ صباه" لشدة تعلقه بالعبادة وابتعاده عن ملاهي الدنيا.

هناك قصة شهيرة عنه عندما كان طالباً صغيراً في الجامعة؛ فقد قرأ في أحد الكتب درساً عن ضرورة الحجاب والابتعاد عن النساء، فطبق ذلك بمنتهى الدقة لدرجة أنه امتنع عن دخول بيته خشية أن يرى أمه، لأنه لم يكن يفرق حينها -لصغر سنه- بين المحارم وغيرهم.

ولم يتراجع عن موقفه إلا بعد أن ذهب به والده إلى أستاذه في الجامعة، الذي شرح له المسألة بالتفصيل. هذه الواقعة أدهشت الجميع، وأظهرت كيف كان الشيخ يملك عزيمة قوية في تطبيق كل ما يتعلمه من أحكام الدين.

قضى الشيخ في رحاب هذه الجامعة عشر سنوات كاملة، درس فيها العلوم الشرعية حتى وصل إلى مرحلة "مشكاة المصابيح" بتفوق باهر وجدارة متميزة.

خلال هذه الفترة، نال الشيخ محبة وتقدير أساتذته لذكائه وورعه، كما حظي باحترام كبير من زملائه الطلاب الذين كانوا يستفيدون من علمه وفهمه.

رفاق الدرب والوفاء العلمي : كان للشيخ صديقان مقربان ومخلصان في فترة الدراسة، وهما من كبار علماء بنغلاديش لاحقاً: الشيخ أحمد حسن (مؤسس مدرسة جيري)، والشيخ عبد المجيد الشهير بـ "شاه صاحب" (مؤسِّس المدرسة المجيدية، مدارشاه). وكان هذان الشيخان يأتيان إلى منزله بانتظام ليقوما بمراجعة الدروس واستيضاح المسائل الغامضة من صديقهما الناهغ "فيض الله".

وينقل مولانا عاصم (وهو من تلامذة المفتي فيض الله المقربين) قصة مؤثرة؛ حيث زار الشيخ أحمد حسن جامعة هاتهازاري يوماً، وقال أمام جمع غفير من العلماء والطلاب تواضعاً واعترافاً بالفضل:
"إن وقوفي اليوم خطيباً ومتحدثاً أمام هذا الجمع الكبير من العلماء والطلاب، هو ببركة دعاء أساتذتنا أولاً، ثم ببركة جهود أخي وصديقي المفتي فيض الله وصبره معنا. ففي مرحلة الطلب، لم أكن أملك القدرة الكاملة على استيعاب الدروس المعقدة من الأساتذة مباشرة، بل كنت أحضر الدرس لنيل البركة فقط، ثم نذهب إلى فيض الله فيشرح لنا الكتاب ونفهمه منه. لقد كان بمثابة الأستاذ والمرشد لي في حياتي العلمية.

من أبرز أساتذة الشيخ في هذه المرحلة كان العالم الورع والتربوي المتواضع الشيخ أبو الحسن الخندقيوي (المعروف بلقب "سوم حضور" أي الأستاذ الثالث). كان أستاذاً بسيطاً بعيداً عن التكلف والرياء. درَس عنده المفتي فيض الله الجزء الرابع من كتاب "الهداية" في الفقه الحنفي.
وكان من عجيب فطنة الطالب وتواضع الأستاذ، أن الأستاذ الشيخ أبو الحسن كان إذا واجهته مسألة معقدة أو صعبة أثناء التدريس، يلتفت إلى تلميذه النجيب "فيض الله" ويستشير ويناقشه في المسألة أمام الطلاب ثم يكمل الدرس.
ويحكي المفتي فيض الله عن ذلك قائلاً: "بسبب هذا الأسلوب من أستاذي، كان لزاماً عليّ أن أطالع الدروس القادمة وأحضرها بدقة وعمق شديدين قبل الذهاب إلى حلقة الدرس". وبفضل هذه التربية العلمية الجادة، ظل كتاب "الهداية" طوال حياة المفتي فيض الله من أحب الكتب إلى قلبه وأكثرها مطالعة، وكان يحفظ مسائلها وأدلتها العقلية والنقلية عن ظهر قلب وبإتقان تام.

لقد بلغ المفتي فيض الله (رحمه الله) مكانة علمية رفيعة جعلت أساتذته وكبار شيوخه ينزلونه منزلة الأكابر؛ فكان مؤسس الجامعة الشيخ **حبيب الله القريشي** يقول عنه: "إن فيض الله وإن كان من تلاميذنا، إلا أن منزلته ومكانته العلمية تساوي منزلة أساتذتنا."

وكان الجيل الذهبي لعلماء جامعة هاتهازاري في ذلك الوقت، وهم الشيوخ: حبيب الله القريشي، و شيخ المشايخ ضمير الدين، والمحدّث سعيد أحمد (رحمهم الله)، ورغم أنهم كانوا أساتذته، إلا أنهم كانوا إذا اختلفوا في مسألة فقهية معقدة أو واجهوا إشكالاً علمياً، يذهبون إليه ليجدوا عنده الحل والقول الفصل.

حتى إن أستاذه وشيخ الحديث بالجامعة، العلامة **سعيد أحمد** رحمه الله، كان إذا واجه مسألة صعبة أثناء مطالعته للكتب، يأخذ كتابه ويمشي بنفسه إلى غرفة تلميذه "فيض الله" ليناقشه فيها. وكان الشيخ فيض الله بدوره يستقبل أستاذه ببالغ الأدب والجميل، ويشرح له ويفكك تعقيدات المسألة بكل تواضع واحترام.

لقد وهب الله تعالى الشيخ فيض الله (رحمه الله) ملكة الكتابة والتأليف منذ نعومة أظفاره، فكان مصنفاً وكاتباً وهو لا يزال في مرحلة الطلب، كما كان شاعراً مطبوعاً يتدفق الشعر على لسانه بسلاسة.

وعندما كان يدرُس كتاب "الْكُلِسْتَان" (وهو من كتب الأدب الفارسي الشهيرة)، صاغ منظومة شعرية (نصائح فيض)، وجعلها على وزن وقافية كتاب "كريما" للشيخ نصيحية باللغة الفارسية أسماها **پند فيض** مصلح الدين السعدي الشيرازي.

ولم تقتصر كتاباته المبكرة على الأدب والشعر فحسب، بل دخل في عمق العلوم العقلية؛ فبينما كان يدرس كتاب "سلم العلوم" في المنطق، قام بكتابة رسائل وشروح باللغة الفارسية يشرح فيها مباحث (العكس المستوي، وعكس النقيض، والتناقض)، وهي من أصعب وأعقد الأبواب في علم المنطق. ولكن للأسف، هذه الشروح والرسائل القيمة ضاعت وتلفت في المنزل أثناء رحلته وسفره إلى ديوبند بالهند.

عندما بلغ الشيخ فيض الله من العمر واحد وعشرين عاماً، سافر إلى الهند للالتحاق بدار العلوم ديوبند وهناك نهل العلم من كبار علماء العصر. ومن أشهرهم شيخ الهند محمود الحسن الديوبندي والمحدّث الكبير والمفتي عزير الرحمن العثماني و الشّاه أنور الكشميري والشيخ الأديب إعزاز على والشيخ المحدّث شبير أحمد العثماني وغيرهم.

يروي المفتي فيض الله (رحمه الله) قصة بداية وصوله إلى الهند قريباً من عام ١٣٣١هـ قائلاً: "عندما وصلتُ إلى دار العلوم ديوبند، نزلتُ مؤقتاً في غرفة أخي الشيخ ذاكر الشاتغامي. وفي أحد الأيام بعد صلاة العصر، كنتُ جالساً في الغرفة أطالع كتاب 'مختصر المعاني' (وهو كتاب دقيق في علوم البلاغة). وكان أستاذ العلوم العقلية والبلاغة المشهور، الشيخ **رسول خان** رحمه الله، يسكن في غرفة بالأعلى جهة غرفتنا. وبينما كان الشيخ خارجاً لبعض شأنه، رآني فجاء إليّ وسألني عن أحوالي، ثم قال لي: اقرأ عليّ شيئاً من كتاب مختصر المعاني الذي بين يديك.
ويكمل الشيخ فيض الله حديثه: "بمجرد أن قرأتُ له عبارة من الكتاب وشرحتها، استبشر الشيخ وتهلل وجهه فرحاً وسروراً بذكائي وحسن قراءتي، وقال لي مشجعاً ومبشراً "عليك أن تدرس هنا في ديوبند ولا تذهب إلى أي مكان آخر، وإن شاء الله ستعود إلى بلادك (البنغال) وأنت أكبر علمائها."

يذكر المفتي فيض الله (رحمه الله) أيام دراسته في ديوبند ويقول: "أذكر أن المفتي محمد شفيع كان زميلي في مقاعد الدراسة أثناء قراءة كتاب 'مقامات الحريري' (وهو من أشهر كتب الأدب العربي).

والجدير بالذكر أن المفتي محمد شفيع (المولود عام ١٣١٤ه في ديوبند بالهند) قد تولى لاحقاً منصب الإفتاء في دار العلوم ديوبند، ونال شهرة واسعة في شبه القارة الهندية بأكملها. وبعد تقسيم البلاد، انتقل إلى باكستان وأصبح يُلقب بـ "المفتي الأعظم لباكستان.

وهنا تظهر حكمة إلهية عجيبة وتوافق غيبي نادر؛ فقد توفي هذان العلمان والنجمان الساطعان في سماء الأمة الإسلامية في نفس اليوم!

ففي يوم الأربعاء الموافق لـ ١٢ من شهر شوال، انتقل المفتي الأعظم فيض الله إلى رحمة الله تعالى في تمام الساعة ١١:٥٥ صباحاً في بنغلاديش. وفي نفس ذلك اليوم عند الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، لحق

به زميله المفتي الأعظم محمد شفيع في باكستان. ليرحل عن الأمة الإسلامية اثنان من كبار خريجي دار العلوم ديوبند في يوم واحد، ولم يكن بين وفاتهما سوى اثنتي عشرة ساعة فقط.

لم يكن الشيخ يُضيع وقته حتى في العطلات الدراسية؛ فكان يقضي وقته في تدريس زملائه الطلاب، وبدأ بالتأليف في سن مبكرة جداً. فقد ذكر رحمه الله أنه لم تمرَّ عليه عطلة واحدة إلا وقد ألّف فيها رسالة علمية، وهذا يوضح مدى شغفه بالعلم والكتابة منذ بداياته.

شهادة العلامة شبير أحمد العثماني في حقه: يُحكى عن تفوق الشيخ فيض الله العلمي قصة عجيبة جرت أحداثها في دار العلوم ديوبند؛ فذات مرة كان اختبار كتاب "ملا حسن" (وهو كتاب دقيق في المنطق) تحت إشراف المحدث الكبير شبير أحمد العثماني رحمه الله

وعندما قرأ العلامة العثماني ورقة إجابة الطالب "فيض الله الشاتغامي"، ذُهل من دقة فهمه وعمق إدراكه، حتى قال جملته الشهيرة:

يبدو أن هذا الطالب قد فَهِم الكتاب أفضل من مؤلفه نفسه! إن نفسي تشتاق لرؤيته والتعرف عليه

وقد ذكر الشيخ المفتي فيض الله أن أستاذه الشيخ عبد السميع رحمه الله هو مَن نقل له هذا الخبر، وكان هذا الثناء العظيم من عالم كبير كالعثماني سبباً في غبطة زملائه له وتقديرهم لمكانته العلمية التي سبقت سنه.

٣. – جِلسة الإفادة: مُعلّم فائز

عاد الشيخ إلى وطنه عام ١٣٣٤هـ بعد رحلة حافلة بالنجاح. ويحكي الشيخ عن تلك الفترة بتواضع قائلاً: إنه كان محبوباً عند جميع أساتذته وزملائه، ولم يجادل أحداً قط طوال فترة دراسته. كان دائماً يحصد المركز الأول في كل عام.

يقول المفتي فيض الله (رحمه الله) في مذكراته الشخصية متحدثاً عن وفائه لجامعته: "إن دار العلوم هاتهازاري هي بمثابة أمي العلمية، ولله الحمد، فبمجرد عودتي من ديوبند، عُيّنتُ فيها معلماً ومدرساً بناءً على مشورة وتوجيهات أساتذتي الأجلاء. ولم يمضِ على تدريسي إلا وقت قصير حتى أُسندت إليّ أيضاً مسؤولية القيام بالإفتاء وإصدار الفتاوى.

بعد عودته من الهند وشهرته العلمية الكبيرة، تهافتت عليه العروض الوظيفية؛ حيث جاءته عروض مغرية برواتب عالية جداً للتدريس في المدارس الحكومية، ومنها "المدرسة المحسينية الحكومية"، وألحّ عليه المسؤولون كثيراً لقبول هذه الوظائف.

لكن الشيخ (رحمه الله) اعتذر عنها جميعاً ورفضها بشدة، واعتبر الانشغال بالوظائف الحكومية والرواتب المغرية بمثابة "موت لعلمه" وإنهاء لرسالته الحرة في خدمة الدين، فآثر البقاء في جامعته الأهلية (هاتهازاري) ليربي الأجيال على الإخلاص والزهد والاعتماد على الله.

شهادة "خطيب أعظم" الشيخ صديق أحمد في حق أستاذه: يقول تلميذه العلامة صديق أحمد (المعروف بخطيب أعظم بنغلاديش) واصفاً تمكّن أستاذه المفتي فيض الله: "كُنا عندما ندرُس أي كتاب على يد الشيخ في

جامعة هاتهازاري، نجد في شرحه لكل مسألة قوةً وعمقاً عجيباً. كان يغوص في أعماق المسائل العلمية ويقدم الحلول والنتائج بكل حزم وثبات، ولم نره يوماً متردداً أو حائراً في تقديم إجابة أو حل معضلة".
ويضيف الشيخ صديق أحمد معلومة مذهلة، وهي أن المفتي فيض الله قام بتدريس كتاب "حمد الله" (وهو من أصعب كتب المنطق) ببراعة تامة وإتقان مذهل، رغم أنه لم يدرسه على يد أستاذ، بل فهمه بنفسه وقام بتدريسه لطلابه دون أيّ تردُّد أو شك في أي مسألة منه.

مقارنة علمية منصفة: ويحكي الشيخ صديق أحمد عن تجربته الشخصية قائلاً:
"بعد دراستي في هاتهازاري، سافرت إلى سهارنبور ثم إلى ديوبند، ودرست هناك كتب الفنون العالية (المنطق والفلسفة) على يد كبار العلماء، ومنهم المفتي محمد شفيع رحمه الله. ومع تقديري الكبير للمفتي شفيع ومكانته، إلا أنني أشهد بصراحة ومن خلال ملاحظتي الشخصية، أنني لم أجد أحداً في قوة المفتي فيض الله في حلِّ تعقيدات المسائل العلمية المعقدة ؛ فقد كان أستاذنا فيض الله يتميز بوضوح تام وقوة في الطرح لا تضاهى.

٤. – خيرٌ لأهله: مدبّر المنزل ومعلّم البيت

ينقل الشيخ المفتي إظهار الإسلام شودري (حفظه الله) عن جدة زوجته (وهي زوجة المفتي فيض الله رحمه الله) شهادة حية وجامعة عن أخلاقه في بيته، وتلخصها في النقاط التالية:

لقد وهبه الله تعالى صبراً وشغفاً غير عادٍ بمطالعة الكتب؛ فكان لا يضيع من وقته دقيقة واحدة. حتى وهو جالس على سفرة الطعام ينتظر تقديمه، كان يمسك بالكتاب ويقرأ فيه، وبمجرد الفراغ من الأكل يعود ليغوص في كتبه مجدداً، وكأن القراءة هي أنفاسه التي يتنفسها.

تطبيقاً للسنة النبوية الشريفة كان الشيخ متواضعاً في بيته، يعين زوجته ويساعدها في أعمال المنزل؛ فكان بحق مصداقاً للحديث الشريف: كانَ يَكونُ في مِهْنَةِ أهْلِهِ.

كان يعيش حياة منظمة ومرتبة بدقة، ويحرص على وضع كل شيء في مكانه الصحيح. وكان هذا الترتيب الدائم يضفي على بيته ومظهره لمسة من الأناقة والوقار والذوق الرفيع.

كان الشيخ يعيش بين الصلاة والصلاة؛ فما إن يرتفع صوت الأذان حتى يترك كتبه ومطالعته فوراً، ويتوجه بروح مشتاقة إلى المسجد ليكون في الصفوف الأولى.

كان قنوعاً جداً بأقلّ القليل، ويوصي زوجته دائماً بقوله: "لا تشغلي بالك بطعامي، ولا تتكلفي في إعداد موائد زائدة". وكان يفضّل أكل الخضراوات البسيطة على الأطعمة الفاخرة.

كان يكره الإسراف بجميع أشكاله، لدرجة أنه كان يتوضّأ ويغتسل بكمية قليلة جداً من الماء دون هدر. وكان حريصاً على الحشمة؛ فلا يغتسل أبداً إلا داخل المغتسل المستور.

إذا تلف أو ضاع أي شيء من أمتعة الدنيا —مهما كان ثمنه غالياً— لم يكن يحزن أو يتأفّف، ولا يغضب أبداً لأمور الدنيا المادّية. ولكن، إذا رأى أي تقصير أو نقص في أمر من أمور الدين، كان يمتلئ هماً وغماً وغيرة على شرع الله.

كان الشيخ شديد الغيرة على أهل بيته، ويؤكد بكل حزم واهتمام على التزام زوجته وبناته بالحجاب الشرعي الكامل.

في بداية حياته، كان يقوم بشراء مستلزمات البيت من السوق بنفسه (قبل أن يتولى صهره الأكبر هذه المهمة لاحقاً). ولم تقتصر خدمته على بيته، بل كان جيرانه يطلبون منه شراء بعض حوائجهم من السوق، فكان يشتريها ويحملها إليهم بطيب نفس وبشاشة وجه، دون أي تذمر أو ترفع.

كان رقيقاً ورحيماً بأهل بيته، يهتم براحة النساء ويوفر لهن كل ما يحتجن إليه من أدوات ومستلزمات منزلية، ويحرص على ألّا يكلفهن ما يشق عليهن ليعشن في راحة وطمأنينة.

سار الشيخ على الهدي النبوي؛ فما عاب طعاماً قط، ولم يكن يفرط في مدحه أو ذمه. وإذا حدث تقصير أو خطأ من النساء في إعداد الطعام، كان يطيب خاطرهن ويقول: **"لا بأس، الطعام ممتاز ولذيذ"**، ستراً لخطئهن وتطييباً لقلوبهن.

تعليمُ البنات:

لم يقتصر دور الشيخ المفتي فيض الله (رحمه الله) كمعلم ومربٍّ على طلاب الجامعة فحسب، بل نقل هذه الأجواء العلمية إلى داخل بيته؛ حيث قام بنفسه بتعليم ابنتيه **رحيمة خاتون** و **زينب** علوم القرآن والحديث واللغة العربية.

كان الشيخ (رحمه الله) يفتخر بذكاء ابنته الكبرى "رحيمة" ويقول عنها: "إن ابنتي هذه ذكية جداً، وتملك ذاكرة قوية للغاية. مهما كانت المسائل العلمية في الكتب معقدة وصعبة، فإنها تستطيع استيعابها وعرض مناقشتها كاملة بأسلوب منظم ومرتب

ولثقته الكبيرة بعلمها وفهمها، كان الشيخ يستعين بها في أعماله العلمية الدقيقة؛ فكان يطلب منها أحياناً تدوين الفتاوى وجردها، كما كان يعتمد عليها في استخراج حلول مسائل المواريث المعقدة، وكان يقول: "ما شاء الله، لقد كانت مهاراتها وبراعتها في علم الفرائض حيث لا تُقارن.

أما ابنته الصغرى "**زينب** "، فقد كانت السبب المباشر وراء تأليف الشيخ لأحد كتبه "تعليم المبتدي اللسان العربي" الشهيرة في تعليم اللغة العربية؛ حيث يقول الشيخ عن كتابه:
في الحقيقة، إنني ألفتُ هذا الكتاب خصيصاً لأجل تعليم ابنتي 'زينب'. ولكي أربطها بالأدب العربي، وأدربها على كيفية تطبيق قواعد النحو والصرف التي درّستها، كنتُ أكتب لها يومياً بعض الجمل والعبارات العربية

التطبيقية. ومع مرور الأيام وتتابع الدروس، تجمعت هذه المواد لتصبح كتاباً مستقلاً بذاته ينتفع به عامة الطلاب.

تروي الابنة الكبرى، الشيخة **رحيمة خاتون**، تفاصيل رحلتها العلمية الفريدة في بيتها قائلة:
درستُ مبادئ علوم النحو والصرف حتى بلغتُ العاشرة من عمري على يد الأستاذ الشيخ مولانا عزيز الله، فزاد شغفي وحبي لطلب العلم، وكانت رغبة والدي (المفتي فيض الله) أن يدرّسني المنهج العلمي كاملاً.
وعندما كبرتُ وبدأتُ أشعر بالحياء من الخروج والجلوس أمام الأستاذ، تولى والدي بنفسه مهمة تعليمي بانتظام، فوضع لي جدولاً دراسياً دقيقاً يتوزع على ثلاث فترات يومياً: بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة الظهر، وفي الليل.

وتسترسل في ذكر الكتب التي تلقتها عن والدها قائلة:
لقد قرأتُ على والدي كُتباً علمية وأدبية غاية في الأهمية؛ حيث بدأ تعليمي بكتاب 'كريما' و'الْكُلِسْتَان' وغيرها في الأدب الفارسية. ولكي أكتسب ملكة قوية في اللغة العربية، أردف ذلك بتدريسي كتباً أدبية وتربوية رفيعة إلى جانب الكتب الفارسية، مثل: 'مفيد الطالبين'، و'تعليم المتعلم'، و'القليوبي'، و'قصيدة البردة'، و'نفحة العرب'، بالإضافة إلى الكتاب العقدي والفكري الهام **لشيخ الإسلام ابن تيمية** 'الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان'. وفي علم الفقه، درستُ عليه كتابي 'مالا بد منه' و'مختصر القدوري'، كما أقرأني كتاباً لنفسه يجمع فتاوى شرعية باللغتين العربية والفارسية يُدعى (فتاوائے لا بدية).
وقالت الشيخة **رحيمة خاتون** عن هذه المرحلة الذهبية بقولها:
"عندما أكملتُ سن الثالثة عشرة من عمري، وأصبح لي بفضل الله مَلَكة قوية وعلاقة متينة باللغة العربية وآدابها بدأ والدي رحمه الله يدرّسني كتاب الهداية.
لقد غمرني الله سبحانه وتعالى برحمته وفضله الواسع، حيث زرع في قلبي حبّاً جماً وشغفاً هائلاً لطلب العلم ومطالعة الكتب. ولله الحمد، كنتُ أقضي ليلي ونهاري مستغرقة في القراءة والدراسة. ولشدة شَغَفي، كنتُ أحتال في الليل بذكاء دون علم والدي؛ فأقوم بوضع غطاء ورقيّ حول المصباح (السراج) لأخفف من شدة ضوئه حتى لا يشعر أحدٌ باستيقاظي، وأظل أطالع في كُتبي بنهمٍ وشوق حتى ترتوي نفسي، ثم أنام بعد ذلك.
بعدَ أن بدأْتُ قِرَاءَةَ كتابِ **الهداية**؛ كنتُ أتقدَّم فيهِ يوماً بَعْدَ يَوْمٍ وَدَرْساً بَعْدَ درسٍ، وَفي مُدَّةٍ وَجيزَةٍ انْتَهَيْتُ مِنْ قِرَاءَةِ المُجَلَّدَيْنِ الأَوَّلَيْنِ مِنْهُ. حينَها أَعَادَ والدِي (رَحِمَهُ اللهُ) تَدْرِيسَ كِتَابِ 'الهِدَايَةِ' لِي مِنَ البِدَايَةِ، وَأَلْحَقَ بِهِ دَرْسَ كِتَابِ المشكاة، حيثُ أَقْرَأَنِي 'مِشْكَاةَ المَصَابِيحِ' حَرْفاً حَرْفاً مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَأَتْمَمَ لِي مَعَهُ قِرَاءَةَ شَرْحِهِ النَّفِيسِ "أشعّة اللمعات" لِلشَّيْخِ عَبْدِ الحَقّ المُحَدِّثِ الدِّهْلَوِيّ بِمُجَلَّدَاتِهِ الأَرْبَعَةِ.
وعِنْدَمَا أَشْرَفَ دَرْسُ 'المِشْكَاةِ' مَعَ 'أَشِعَّةِ اللَمعَاتِ' عَلَى الاِخْتِتَامِ؛ كَانَ عُمْرِي إِذْ ذَاكَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَبَعْدَ أَنْ أَكْمَلْتُ قِرَاءَةَ 'المِشْكَاةِ' مرَّةً وَاحِدَةً، أَعَادَ وَالِدِي تَدْرِيسَهَا لِي مَرَّةً ثَانِيَةً، وَبَدَأَ مَعَهَا دَرْسَ تَفْسِيرِ الجلالين، كَمَا شرعَ فِي تَدْرِيسي المُجَلَّدَيْنِ الأَخِيرَيْنِ المُتَبَقِّيَينِ مِنْ كِتَابِ 'الهِدَايَةِ'. وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ (أَيْ فِي عُمْرِ الأَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً) تَمَّ عَقْدُ قِرَانِي وَزَوَاجِي، وَالحَمْدُ للهِ حَمْداً كَثِيراً أَنَّنِي أَتْمَمْتُ قِرَاءَةَ جَمِيعِ هَذِهِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ الجَلِيلَةِ قَبْلَ زَوَاجِي.

لم ينقطع تعليمي بفضل الله حتى بعد زواجي؛ حيث قرأتُ على والدي كتاب السراجي في الميراث و كتاب المؤطا للإمام محمد رحمه الله.

بَدَأَتْ أُخْتِي الصُّغْرَى 'زَيْنَبُ' تَعَلُّمَ مَبَادِئِ النَّحْوِ وَالصَّرْفِ عَلَى يَدِ الأُسْتَاذِ المُحْتَرَمِ مَوْلَانَا عَزِيز الله رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَرَأَتْ عَلَى يَدِ وَالِدِنَا (رَحِمَهُ اللهُ) كُتب: تعليم المبتدي و فيض الكلام وهداية العباد وغيرها.

وَفِي تِلْكَ الفَتْرَةِ، أَجْلَسَنَا وَالِدِي ـــأَنَا وَأُخْتِي زَيْنَبَـــ لِيُعَلِّمَنَا تَرْجَمَةَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، فَأَقْرَأَنَا تَرْجَمَةَ كِتَابِ اللهِ كَامِلَةً مَعَ مَا يَلْزَمُ مِنَ التَّفْسِيرِ فِي شُهُورٍ قَلِيلَةٍ. وَبِسَبَبِ بَعْضِ المَشَاغِلِ العَائِلِيَّةِ، كُنْتُ أَغِيبُ عَنِ الدَّرْسِ أَحْيَاناً، أَمَّا أُخْتِي الصُّغْرَى زَيْنَبُ؛ فَقَدْ وَاظَبَتْ عَلَى حُضُورِ دَرْسِ تَرْجَمَةِ القُرْآنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَلَمْ يَفُتْهَا مِنْهُ يَوْمٌ وَاحِدٌ.

والجدير بالذكر والالتفات هنا أيضًا، أن الشيخ المفتي فيض الله (رحمه الله) ـــورغم حرصه الشديد على تعليم ابنتيه أعلى مستويات العلوم الشرعية واللغة العربيةـــ لم يتخذ من هذا التعليم والطلب ذريعة أو عائقاً لتأخير زواجهما؛ بل بادر بتزويجهما في سنّ مبكرة اتباعاً للسنة النبوية الشريفة وتيسيراً للحلال. لأنّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال:

فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبٌ: "مَنْ بَلَغَتِ ابْنَتُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَلَمْ يُزَوِّجْهَا فَأَصَابَتْ إِثْمًا فَإِثْمُ ذَلِكَ عَلَيْهِ". رواه البيهقي في شعب الإيمان

فقد زوّج ابنته الكبرى وهي في سن الرابعة عشرة وزوَّج ابنته الصغرى وهي في سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة، وهما عفيفتان نقيّتان. وقد تم زفافهما بطريقة شرعية بسيطة وبعيدة عن التكلف، ومطابقة للسنة النبوية؛ حيث حدد مهرهما وفقاً لِ "المهر الفاطمي".
وفي تفاصيل زواج ومصاهرة ابنتيه مواقف وعِبر تربوية عظيمة ومؤثرة، آثرنا تجاوزها هنا رغبةً في الاختصار والتركيز على سياق الترجمة.

٥. ـ مقام الرُّسوخ: أسوة الفقهاء ونِبراسُ الأتقياء

مجددٌ في بيئة استثنائية: لم يكن المفتي فيض الله (رحمه الله) عالماً تقليدياً يكتفي بالتدريس والفتوى، بل كان عالماً استثنائياً يحمل فكراً إصلاحياً ثورياً في ظروف صعبة عاشتها بلاد البنغال. وإن المتأمل في عمق مواقفه ورسائله يرى فيه سمات المجددين الذين يبعثهم الله على رأس كل مائة سنة ليجددوا للأمة أمر دينها؛ فلقد اختاره الله تعالى ليكون وارثاً بحق للأنبياء، يقف في وجه العادات الدخيلة والتقاليد الخاطئة بكل شجاعة وأصالة.

في وقت كان فيه بعض العلماء يتساهلون ـــعن غير قصد أو قلة انتباهـــ في تناول واستهلاك بعض ثمار ومحاصيل بساتين المدارس الأهلية وأسماك بركها، وقف المفتي فيض الله بالمرصد؛ فأصدر فتاوى صارمة

تحرم هذا التساهل، وتبين الأحكام الدقيقة لأموال الأوقاف، مما نشر الوعي والورع بين العلماء وحفظ للمؤسسات الدينية طهارتها

لاحظ الشيخ (رحمه الله) بنظرته العلمية الثاقبة أن طريقتهم —آنذاك— في جمع التبرعات للمدارس الأهلية، والتي كانت تعتمد على الطواف على بيوت الناس (صالحهم وطالحهم) بأسلوب يشبه الاستجداء، وإن كانت نيتهم صالحة لنفع المدارس، إلا أنها تذهب بهيبة العلماء وتُسقط مكانتهم من قلوب العامة كقدوة وأحرار، بل وقد تفتح في المستقبل باباً للتكسب غير المشروع باسم الدين.

لذلك، لم يكتفِ بالإنكار اللساني، بل سطر المقالات والكتب ضد هذه الطريقة، وترجم إنكاره عملياً بتأسيس مدرسته الشهيرة **حامي السنة** حيث أدارها بمنهج عزيز يعتمد على التعفف التام والتوكل على الله، مصدراً للعالم نموذجاً حياً للمدرسة الإسلامية ذات السيادة والكرامة.

عندما رأى الشيخ ظهور بعض الممارسات المحدثة التي تخالف الهدي النبوي، مثل التكسب المالي بأشكال مبتدعة تحت مسمى الختمات والرقص والأذكار المأجورة والالتزام بالدعاء الجماعي الملتصق بالصلوات الخمس المكتوبة بصفة دائمة (وهي هيئة لم تكن في عصر الصحابة ولا التابعين) انتفض محارباً لهذه البدع والخرافات. فألف الكتب والرسائل، وشرح للناس السنن بعبارات واضحة مستمدة من الكتاب والسنة؛ فقبله المنصفون بالترحاب، بينما عارضه آخرون لعدم فهمهم لحقيقة دعوته.

في وقت كان بعض العلماء ينحنون أمام العواصف السياسية أو يحاولون استخدام السياسات الوضعية كدرع لحماية الدين، ذكّر الشيخ الجميع بالمنهج النبوي الأصيل في التغيير. ولم يتهيب من سلوك طريق الأنبياء؛ فأرسل رسالة نصح وصدع بالحق إلى رئيس البلاد آنذاك "أيوب خان"، ممارساً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأسلوب علمي وقور، وقد حظيت رسالته بتقدير كبير من الرئيس الذي رد عليها بجواب يحمل كل احترام وتبجيل للشيخ ومكانته.

لم يكن المفتي الأعظم فيض الله (رحمه الله) يوماً من العلماء الذين يسبحون مع التيار أو يداهنون على حساب الحق، بل كان فقيهاً بصيراً، ثابتاً على الصراط المستقيم، ومستمسكاً بالكتاب والسنة في كل شؤونه.

شهادة حكيم الأمة الأشرف علي التهانوي رحمه الله**:**

يُروى من طرق موثوقة ومقبولة أن أحد الأشخاص أراد اختبار ودراسة إحدى فتاوى المفتي فيض الله (رحمه الله)، فأرسلها إلى مجدد الملة الحكيم **أشرف علي التهانوي** (رحمه الله) ليعرف رأيه فيها. وعندما وصلت الفتوى، كان الشيخ التهانوي مستلقياً على فراشه من التعب، فبدأ الشيخ عبد الكريم يقرأ عليه نص الفتوى

وما إن استمع الحكيم التهانوي إلى جانب من العبارات الفقهية الدقيقة والأدلة القوية التي ساقها المفتي فيض الله، حتى اعتدل في جلسته بوقار، وجلس على فراشه مبهوراً بعمق علمه، وقال بلسان المعترف بفضله ثلاث مرات: "هذا هو المفتي بحق**!** هذا هو المفتي بحق**!** هذا هو المفتي بحق**!**"

شهادة علامة الهند إبراهيم البلياوي رحمه الله:

ينقل العالم البارز في البنغال وخليفة الشيخ الحسين أحمد المدني، الشيخ عبد الرحمن الديوانفوري (رحمه الله) موقفاً شهيراً يقول فيه:

عندما سافرتُ في المرة الثانية إلى جامعة دار العلوم ديوبند بالهند، أخذ العلامة **إبراهيم البلياوي** (رحمه الله) بيدي بعد صلاة العصر، ومشينا معاً يتجاذب أطراف الحديث، ثم قال لي: لقد جاءتنا رسالة من 'فيض الله' الذي عندكم. ثم قرأ عليّ رسالته العلمية وقال ممتدحاً بأسف: "إن المفتي فيض الله قد وُلد في أرض البنغال، لكن البنغاليين لم يقدروا قيمته ومنزلته حق قدرها؛ لو أن رجلاً مثله وُلد في ديوبند، لنال من الإجلال والتعظيم والشهادة ما يليق بمقامه الرفيع وشأنه العظيم."

شهادة شيخ الحديث عبد الحق الأعظمي رحمه الله:

ينقل الشيخ إلياس القاسمي (حفظه الله) ـــعضو شورى مركز التبليغ في شيتاغونغ والمدرس بمدرسة مدينة العلوم باتوا ــ ذكريات أيّام دراسته في الهند قائلًا:

عندما كنتُ طالباً في دار العلوم ديوبند، ذهبتُ يوماً لزيارة أستاذنا شيخ الحديث **عبد الحق الأعظمي** (رحمه الله) ـــمدرس صحيح البخاري بالجامعةـــ في غرفته الخاصة. وأثناء الحديث، جرى ذكر المفتي الأعظم فيض الله (رحمه الله)، فقال الشيخ الأعظمي بكل إنصاف وتقدير باللغة الأردية: ***اُن کے رسائل سے پتا چلتا ہے کہ اُن کے علم میں عُمق ہے*** – يعني: رَسائِلهُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِي علمهِ عُمْقاً.

٦. – الأثرُ المصفّى: دُرر التصانيف وغُرر الرّسائل

أكثر رسائلها باللغة الفارسيّة وكثير منها بالعربيّة فمِن أبرز مصنّفاته –

فيض الكلام لسيد الأنام عليه الصّلاة والسلام (وهو من الكتب الدراسي في أنحاء البلاد)

هداية العباد إلى سبيل الرّشاد

رافع الإشكالات على حرمة الاستيجار على الطاعات

إظهار المنكرات

الفيصلة الجليّة لأحكام السماع وسجدة التحيّة

أحكام الدّعوات المروّجة في هذه الأزمنة المتأخرة

محمود الأجوبة عن إثبات المناجات المروّجة بعد المكتوبة

إظهار الخيال

منكرات القبور

ترغيب الأمّة إلى تحسين النيّة (بالعربيّة)

تعليم المبتدي اللسان العربي
القول السديد في حكم الأحوال والمواجيد
ذمُّ الإكثار في إنشاد الأشعار
سراج التبليغ (ما هي الأمانة والخيانة)
الفلاح فيما يتعلّق بالنكاح (بالعربيّة)
الحقُّ الصريح في المسلك الصّحيح
إزالة الخبط والهميان في إثبات رؤية هلال العيد ورمضان
إنجاح الحاجات بتعريب رسالة راه نجات
تحفة الطالبين في تحقيق خطبة المصنفين
إظهار المنكرات الشائعة في المدارس والجلسات الرائجة
دفع الاعتساف في أحكام الاعتكاف
توضيح البيان في حكم طلاق الغضبان
ترغيب الأمّة باتباع السّنة
إصلاح النفوس
مقالات مفتي أعظم (مجموعة بعض مقالاته العلميّة في مواضع شتى)
مكتوبات مفتي أعظم (بعض مكتوباته إلى بعض الأقرباء أو إلى أكابر الزمان)

رسائله المنظومات:

پند نامہ خاکی – منظوماتِ خاکی – مثنوی دلاویز وغيرها من الرسائل

وَفِيمَا يَلِي نَمَاذِجُ مِنْ قَصَائِدِهِ الفَارِسِيَّةِ المَنْظُومَةِ:

دلائل وجود صانع عالم و بودن عقل قاصر از ادراک جمیع احکام دیں و بودن طورِ نبوت ورائے طورِ عقل

نیز ایں دین و قرآن و کائنات - بلکہ ہر ہر جزو جملہ ممکنات
ہیں گواہانند داں اے نیکخو - بر وجودِ صانع و توحیدِ او
ذاتِ پیغمبرؐ و ہم قرآن ہیں - ہم حدیث و جملۂ احکامِ دیں
ہر یکے زینہا دلیلِ شافی اند - بہرِ عاقل رہنمائے کافی اند
بر وجودِ صانع و بر صحتِ دیں - نیز بر حقّیت و صدقِ امیں
غور کن تو اندریںہا جانِ من - بر تو روشن گردد آخر ایں سخن
غور می کن اندریںہا یارِ من - کاملُ الایمان بگردی بے سخن
عقلِ کامل قولِ مخبر اے حبیب - گر بود صادق دلیل اند اے لبیب
اے بسا چیزے کہ تو نا دیدہ ای - تو بداں قائل و ہم گردیدہ ای

– پند نامہ خاکی

إرشاد الأمّة إلى التفرقة بين السنة والبدعة

رسمہا کت خوب بنماید بچشم - ہمچو طاعت ظاہرش آید بچشم

یعنی رسم فاتحہ وعرسہا - رسم مولودہا و دیگر رسمہا

تو برنگِ ظاہرش غرّہ مشو - بدعتِ موصوف با حسنش مگو

آن نماز ش کہ رغائب بود نام - در کتب ردّش ببیں اے نیکنام

آنکہ بعدِ عطسہ او کردہ سلام - پیشِ ابنِ عمر بر خیر الانام

ابن عمرش کرد انکار آن زمان - کز نبی منقول ہرگز نے چناں

نیز مَرد وی در جبانہ روزِ عید - نفل خواندن خواست پس او را بدید

مر علیؓ پس شد ورا مانع ازاں - کز نبی نامد نمازی آنچناں

مثلِ ایں اندر کتب بسیار ہست - داں نمونہ مشتے از خروار ہست

ایک چوں تقییدِ مطلق آمدہ - در رغائب بیں چہ ناحق آمدہ

بے محل شد آن نماز و آن سلام - قابلِ انکار شد زان لا کلام

کین تعدیِ حدود شرعی است - پس قبیح شد کز اصول فِقہیہ است

چیز ہا گردد قبیح از غیرِ ہم - ایں سخن حق ست ہرگز زیں مَرم

رسمہا را کن بریںہا تو قیاس - حسنہا از قبحِہا نیکو شناس

– منظوماتِ خاکی

وإنّ المتأمل في هذه المؤلفات والرسائل يجد أنها، وإن كانت صغيرة الحجم وجيزة العبارة، إلا أن مضمونها وجوهرها في غاية الأهمية والخطورة.فهي ليست مجرد فتاوى عابرة، بل هي دراسات معمقة قائمة على تأصيل القواعد وتحرير الضوابط الكلية، وبناء المَلَكة الفقهية؛ مما يمهد لطالب العلم والعلماء طريق التفقُّه في الدين ويرسّم لهم معالم التبحُّر في العلوم والاستنباط الصحيح على هدي الكتاب والسُّنّة.

٧. – رحلة الخلود والالتحاق بالرّفيق الأعلى

بعد حياة حافلة بالعطاء، والتأليف، ونشر العلم، وتربية الأجيال، جاء الأجل المحتوم للشيخ المفتي فيض الله (رحمه الله) في مشهد مهيب يعكس وعمق تعلقه بالعلم حتى آخر أنفاسه.

ففي يوم الأربعاء ٦ من اكتوبر عام ١٩٧٦ ميلادي، الموافق ١١ من شوال عام ١٣٩٦ هجري، وفي تمام الساعة ١١:٥٥ صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها وهو واضعٌ أحد كتابي العِلم الشريفين –وهو واضع أحد كتابي العلم الشريفين إما صحيح البخاري أو كتاب الهداية في الفقه– على صدره مستغرقاً في مطالعته والبحث فيه، ليموت كما عاش، ويبعث إن شاء الله على ما مات عليه من طلب العلم وإعزاز الدين. رحمه الله تعالى رحمة واسعة و أسكنه فسيح جنانه, آمين يا ربّ العالمين.